ودنحوا منها الجنه • فمن دابذمها • وقد اذنت ببينها • ونادت بفراقها • ونعت نفسها
واهلها • فمثلت لهم ببلاها البلا • وشوقتهم بسرورها الى السرور • واحب
بحافيه • وانكرت توعيبا وترهيبا • فذمها رجال غداة الندامه • وحمدها اخرون
ذكرتهم الدنيا فذكروا • وحدثتهم فصدقوا • ووعظتهم فاتعظوا ونظم زكي الدين
ابن ابي الاصبع معاني هذه الخطبة ::

فقال من يذم الدنيا بظلم فاني • بطريق الانصاف اثني عليها •
وعظتنا بكل شي لو انا • حين جدت في الوعظ من مصطفيها •
نصحتنا فلم نر النصح نصحا • حتى ابدت لاهلها ما لديها •
اعلمتنا ان المال يفنى • للبلا حين جددت عصريها •
كم ارتنا مصارع الاهل • والاحباب لو نستفيق يوما اليها •
يوم بوسها ويوم رخا • فتزود ما شئت من يوميها •
وتنفس ذو الذكا وهذا • تتسل عما تراه من حادثيها •
دار زاد لمن تزودمنها • وغرور لمن يميل اليها •
مهبط الوحي والمصلى التي كم • عفرت صورة بها خديها •
متجر الاوليا قد ربحوا الجنة منها واوردوا عينيها •
رغبت ثم رهبت ليرى كل • لبيب عقباه في حالتيها •
فاذا انصفت تعين ان تثني عليها ذو البر من والديها •

واما ذم ما مدحه الناس قاطبة فقول ابن الرومي في الورد وهو مشهور
ووصف البحتري يوم الفراق بالقصر وقد اجمع الناس على طوله بقوله
ولقد تاملت الفراق فلم اجد • يوم الفراق على امرئ بطويل •
قصرت مسافته على متزود • منه لدهر صبابة وغليل •
وهذا النوع اعني المغايرة اورده الحريري في مقامته الدينارية •
وبالغ في مدح الدينار وذمه فقال في مدحه •
اكرم به اصفر راقت صفرته • جواب افاق ترامت سفرته •
ماثورة سمعته وشهرته • قد اودعت سر الغنا اسرته •
وقارنت نجح المساعي خطرته • وحببت الى الانام غرته •
كانما من القلوب نقرته • به يصول من حوته صرته •

وان

وان نعانت اونوانت عشرته • يا حبذا نضاره ونضرته
وحبذا مغناته ونصرته • كم امر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته • وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم انزلته بدرته • ومستشيط تتلظى جمرته
اسر نجواه فلانت شرته • وكم اسير اسلمته اسرته
انقذه حتى صفت مسرته • وحق مولى ابدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته • وقال في ذمه
تباله من خادع مماذق • اصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق • زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقايق • يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم يقطع يمين سارق • ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشماز باخل من طارق • ولا اشتكى الممطول مطل العايق
ولا استعيذ من حسود راشق • وشر ما فيه من الخلايق
ان ليس يغني عنك في المضايق • الا اذا فر فرار الابق
واها لمن يقذفه من حالق • ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق • لا راي في وصلك لي ففارق

ومن المغايرة تفضيل القلم على السيف اذ المعتاد عكس ذلك كقول ابن الرومي
ان يخدم القلم السيف الذي خضعت • له الرقاب ودانت خوفه الامم •
فالموت والموت لا شي يعادله • ما زال يتبع ما يجري به القلم •
كذا قضى الله في الاقلام اذ بريت • ان السيوف لها مذ ارهفت خدم •
وغاير المتنبي ذلك فقال حتى رجعت والاقلام قوايل لي •
المجد للسيف ليس المجد للقلم
والمغايرة هنا مليحة • ولكن المعنى ماخوذ من قول ابي تمام •
السيف اصدق انبا من الكتب • والمعنى في قول
ابي تمام ابلغ فان الشيخ زكي الدين ابن ابي الاصبع لم يرض ابو تمام ان يقول
السيف اصدق انبا من القلم حتى قال من الكتب التي لا تكتب الا بالقلم والدواة
والقرطاس والكاتب المطلق اليد واللسان والجنان فالحظ الفرق بين كلامه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)